اسم اللّه الغني: اقترانه بأسماء اللّه الحسنى وإفراده في القرآن الكريم

صالح بن عبد الرحمن الدرويش*

المقدمة

الحمد لله الغني الحميد، أغنى عباده من فضله، وأسبغ عليهم نعمه، وامتنّ عليهم بإرسال خير رسله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدا، أما بعد:

فإنّ من السبل المعينة لتدبر القرآن الكريم والوقوف على مواطن إعجازه، والكشف عن بلاغته وأسراره، معرفة ما ختمت به كثير من آيات القرآن الكريم من أسماء الله الحسنى، سواء جاءت تلك الأسماء مقترنة بغيرها أو منفردة. وإنّ المتأمل لأسماء الله الحسنى التي ختمت بها كثير من آيات القرآن الكريم يجد أنّها جاءت على أكمل الوجوه في تناسبها مع تعلقها الشديد وارتباطها بسياق آياتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك... وأفضل سوره سورة أمّ القرآن... وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد"(١).

وإنّ من أسماء الله الحسنى الواردة في كتابه اسم "الغني"، فقد ورد ثماني عشر ة مرة، واقترن بـ "الحميد" عشر مرات، وبـ "الحليم" مرة، وبـ "الكريم" مرة، وبـ "ذي الرحمة" مرة، وجاء مفردا خمس مرات. ونظرًا لأهمية هذا الموضوع، فقد رغبت في الكتابة فيه، وإبراز ما حواه من أسرار ونكات لطيفة.

---

* الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١ - انظر: أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1420هـ/ 1999م، ص 53، ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، ج 5، ص 310.

أهميّة الموضوع وأسباب اختياره.

1- إنّ هذا الموضوع متعلّق بمعرفة أسماء الله الحسنى الواردة في كتابه ، والتي ختمت بها كثير من آياته، ولا ريب أنّ معرفتها وفهمها حقّ الفهم مما يزيد العبد معرفة بربه، وحبًا وتعلقًا وتقربًا إليه بدعائه وبعبادته.

2- إنّ معرفة الاسم الذي تختم به الآية، وربط هذا الاسم بمضمون الآية لَمِن التدبر الذي أمرنا الله عزّ وجل به.

3- إنّ ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يعدّ سراً من أسرار إعجاز القرآن وبلاغته.

4- حاجة المكتبة القرآنية إلى مثل هذه الأبحاث التي تُعْنَى بإبراز جانبٍ من الإعجاز البياني في ألفاظ آيات القرآن الكريم.

حدود البحث.

حصر الآيات التي ورد فيها اسم "الغني" وهي ثمانية عشر موضعاً من كتاب الله، ثم دراستها دراسةً موضوعيةً.

أهداف البحث

1- جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله "الغني".

2- بيان سرّ اقتران الغني بالأسماء الحسنى أو مجيئه منفردًا.

الدراسات السابقة

بعد البحث والاطلاع على فهارس الرسائل العلمية والدراسات التفسيرية، والرجوع إلى مراكز البحوث المتخصصة وسؤال أهل الخبرة والاختصاص لم أجد من تعرّض لبحث موضوع "اسم الله الغني: اقترانه بأسماء الله الحسنى وإفراده في القرآن الكريم".

المنهج المتبع في كتابة هذا البحث

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي، وذلك وفق الآتي:

1- جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله الغني وهي ثمانية عشر موضعاً من كتاب الله.

2- دراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآيات.

3- الرجوع في دراسة الآيات وتفسيرها إلى ما ورد في السنّة، وأقوال سلف الأمة.

4- تفسير الآيات التي جمعتها في الموضوع ودراستها دراسةً موضوعيةً.

5- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم، وأرقّم الآيات بالعدّ الكوفي، وأعزوها إلى السّور الواردة فيها.

6- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كانت في غيرهما عزوتها إلى مصدرها مع ذكر قول المحدثين فيها وحكمهم عليها. وأما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فاكتفيت بعزوها إلى مصادرها الأصلية.

7- نسبت الأقوال إلى قائليها مع عزوها إلى موضعها مكتفيًا باسم الكتاب وجزئه وصفحته، وعدم النقل بالواسطة إلا إذا تعذّر الوصول إلى أصل المصدر.

8- أوثّق النقل وأعزوه إلى من نقلت عنه في الهامش وأحيل إلى المصدر مباشرة ، فإنْ كان المصدر موهمًا أذكر اسم مؤلفه.

9- أعزو إلى المصدر في حال النقل منه بالنصّ: بذكر اسمه والجزء والصفحة ، وفي حال النقل منه بالمعنى: أصدّر ذلك بكلمة "انظر".

خطّة البحث.

هذا، وقد جعلت البحث في مقدمةٍ وستة مباحث وخاتمة . أدعو الله تعالى أن يفيدنا جميعًا بهذا الجهد المتواضع وأن يبارك في علمنا وعملنا، آمين.

المبحث الأوّل: تعريف اسمي الغنيّ و الحميد ودلالتهما، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: تعريف اسم الغنيّ ودلالته

لغةً: الغين والنون والياء يدلّ على الكفاية والاستغناء . يقال: غَنِيَ يَغنَى غِنًى، والغَناء بفتح الغين مع المد: الكفاية.

يقال: لا يُغني فلان غَناء فلان، أي: لا يكفي كفايته. وغَنِي عن كذا فهو غانٍ. وغَنِي القوم في دارهم: أقاموا، كأنهم استغنوا بها. ومغانيهم: منازلهم.

والغِنَى: مقصور اليسار. تقول منه: غنى فهو غنى، وتغنّى الرجل، أي : استغنى. وأغناه الله، وتغانوا، أي: استغنى بعضهم عن بعض[٢].

٢- انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج4، ص 450، وإسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين، بيروت، =

والغَنِيُّ في أسماء الله تعالى: الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد محتاج إليه، وهذا هو الغنى المطلق، وهو خاص بالله تعالى لا يشاركه أحد غيره، ومن أسمائه: المغني وهو الذي يغني من يشاء من عباده[٣].

قال الخطابي: "الغنيّ: هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه ، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون ، كما وصف نفسه تعالى فقال عزّ من قائل: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾"[٤].

وقال ابن القيّم: وهو الغنيّ بذاته فغناه ذاتي له كالجود والإحسان.

وقال أيضًا: " إنّ الله هو الغنيّ المطلق والخلق فقراء محتاجون إليه، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٥]، بيَّن سبحانه في هذه الآية أنّ فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنياً حميداً أمر ذاتيّ له، فغناه وحمده ثابت له لذاته لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه... وفقر العالم إلى الله سبحانه أمر ذاتيّ لا يعلّل، فهو فقير بذاته إلى ربه الغنيّ بذاته... والمقصود أنّه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنّها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدّسة وحقيقته أنّه غنيّ حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث ه ي، فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيا"[٦].

المطلب الثاني: تعريف اسم الحميد ودلالته

قال ابن فارس: "الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد يدلّ على خلاف الذمّ، يقال :

= ط 4، 1990م، ج 6، ص 2450، وأحمد بن فارس ، **مقاييس اللغة** ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، ج 4، ص 397.

٣- ابن الأثير ، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، ج 3، ص 390 مادة "غنا"، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، **اشتقاق أسماء الله**، تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1406هـ/ 1986م، ص 117.

٤- سورة محمد، الآية: 38، حمد بن محمد الخطابي، **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط 1، 1404هـ/ 1984م، ص 92.

٥- سورة فاطر، الآية: 15.

٦- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ص 8-9، وانظر: ابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**.

حمدت فلانًا أحمده. ورجل محمودٌ ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة"[٧].

والحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على وجه التعظيم والتبجيل[٨].

"وذكر ابن تيمية إن الحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، والذمُّ خبر بمساوئ المذموم مقرون ببغضه، فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه، وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة. ولا تكون عبادة إلّا بحب المعبود، ولا يكون حمد إلا بحب المحمود، وهو سبحانه المعبود المحمود"[٩].

ومن أسمائه تعالى "الحميد" وهو من أبنية المبالغة على وزن فَعِيل بمعنى مفعول، وتأتي صيغة فَعِيل بمعنى مفعول وبمعنى فاعل، فالحميد يمكن أنْ يراد به من حيث هو بغض النظر عن تسمية الله عزّ وجل به، ويمكن أنْ يراد به الحامد، ويمكن أنْ يراد به المحمود ، هذا من حيث بناء الاسم، "وأما الحميد فلم يَأتِ إلّا بمعنى المحمود وهو أبلغ من المحمود فإن فَعِيلا إذا عدل به عن مفعول دلّ على أن تلك الصفة قد صارت مثل السجية والغريزة والخلق اللازم إذا قلت: فلان ظريف وشريف وكريم ولهذا يكون هذا البناء غالبًا من فَعُل بوزن شَرُف ، هذا البناء من أبنية الغرائز والسجايا اللازمة كَكَبُرَ وصَغُرَ وحَسُنَ ولَطُفَ ونحو ذلك... فالحميد هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا وإنْ لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين"[١٠].

ومعنى الاسم في حق الله سبحانه وتعالى ما ذكره ابن جرير بقوله: "ويعني بقوله: ﴿حَمِيدٌ﴾[١١] أنه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله"[١٢].

٧- ابن فارس ، **مقاييس اللغة**، ج 2، ص 100.

٨- انظر: الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير** ، ج 1، ص 7، و ابن منظور، **لسان العرب**، ج 3، ص 155، و أبوحيان، **البحر المحيط**، ج 1، ص 18، والشوكاني، **فتح القدير**، ج 1، ص 68.

٩- ابن تيمية ، **منهاج السنة النبوية**، ج 5، ص 404.

١٠- ابن القيم ، **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، ص 315. وانظر: الزجاج، **تفسير الأسماء**، ص 55، و الزجاجي، **اشتقاق الأسماء**، ص 125.

١١- سورة البقرة، الآية: 267.

١٢- محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1422هـ/ 2001م، ج 4، ص 711.

وقال ابن كثير:"المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه"[١٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: "الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل"[١٤].

قال الإمام ابن القيّم في **نونيته**:

"وهو الحميد فكل حمد واقع ** أو كان مفـووضا مدى الأزمـان

ملأ الوجود جميعه ونظـيره ** مـن غـير مـا عـدٍّ ولا حسبـان

هو أهلـه سبحـانه وبحمده ** كل المحامد وصف ذي الإحسان"[١٥]

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "هذا تفسير لاسمه الحميد فذكر أنه حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضا ومقدرا حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات حمداً يملأ الوجود كله العالم العلويّ والسفليّ، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاء، فإن الله تعالى هو مستحقه من وجوه كثيرة، منها: أن الله هو الذي خلقهم ورزقهم وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النِقَم والمكاره، فما بالعباد منٌّ فمن الله، ولا يدفع الشرور إلّا هو، فيستحق منهم أنْ يحمدوه في جميع الأوقات، وأنْ يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يُحْمد على ما له من الأسماء والصفات الكاملة العليا ، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحقّ عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة؟ فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله، لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه وعلى شرعه وعلى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية وأحكام الجزاء في الأولى

١٣- إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط 2، 1420هـ، ج 1، ص 419.

١٤- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص 22.

١٥- **نونية ابن القيم**، ص 204.

والآخرة، وتفاصيل حمده وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام"[١٦].

المبحث الثاني: اسم الغنيّ ومناسبة اقترانه باسم الحميد

ورد اسم الغني في كتاب الله مقترنا باسم الحميد، في عشرة مواضع، وبيانها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مجيء اسم الغني مقترنا باسم الحميد معرّفا بأَلْ.

جاء اسم الله الغني مقترنا بالحميد معرفا بأَلْ في خمسة مواضع ، وبيان هذه المواضع على النحو الآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[١٧].

وردت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[١٨]، للتنبيه على اختصاصه بالخلق والملك وأنه المنفرد بذلك ، المستحق للعبادة دون ما سواه، فجميع ما في السموات وما في الأرض ملكه، وملكه لا يمتنع شيء منها من تصرفاته، ووجه ختم هذه الآية بـ: ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ أنه من غناه ما تفضل به ابتداءً على خلقه قبل أن يسألوه بما لا غنى لهم عنه من الماء الذي به حياتهم وحياة أرضهم وبهائمهم، وإذا كان إنعامه خالياً عن غرض عائد إليه كان مستحقا للحمد بل هو حميد في ذاته وإن لم يحمده الحامدون[١٩].

وتقديم المجرور في قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ للدلالة على القصر، والإتيان بضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿لَهُوَ ﴾ لإفادة اختصاصه بالغنى والمحمودية دون غيره مما يعبد من دون الله، وتأكيد الحصر بحرف التوكيد وبلام الابتداء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ﴾ لتنزيل من عبد مع الله غيره منزلة الشاك أو المنكر لتحققهم اختصاصه بالغنى أو المحمودية[٢٠].

١٦- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية** ، دار ابن القيّم، الدمام، ط 3، 1407هـ/ 1987م، ص 39-40، وانظر: ابن تيمية، **الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال**، ص 20.

١٧- سورة الحج، الآية: 64.

١٨- سورة الحج، الآية: 63.

١٩- انظر: محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1401هـ/ 1981م، ج 23، ص 247، والطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، 1984م، ج 17، ص 319.

٢٠- انظر: **التحرير والتنوير**، ج 17، ص 320.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[٢١].

عقب الله بهذه الآية بعد إقرار المشركين له بالخلق في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ليبين لهم كمال غناه عنهم وعن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ ﴾[٢٢]، واختصاصه بالغنى والحمد وحده لا شريك له، ومِنْ غناه أن كلّ ما في السماوات والأرض ملك له فهو يملكهم وما ملكوا، وهم محتاجون إليه سبحانه وتعالى[٢٣].

قال البقاعي: "قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي: الملك الأعظم ﴿هُوَ﴾ أي: وحده، وأكد أنّ ادعا ءهم الشريك يتضمن إنكار غناه، ولذلك أظهر موضع الإضمار إشارة إلى أن كل ما وصف به فهو ثابت له مطلقا من غير تقييد بحيثيه ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ مطلقا، لأن جميع الأشياء له ومحتاجة إليه، وليس محتاجا إلى شيءٍ أصلا.

ولما كان الغني قد لا يوجب الحمد قال: ﴿ٱلۡحَمِيدُ ﴾ أي: المستحق لجميع المحامد، لأنه المنعم على الإطلاق، المحمود بكل لسان ألسنة الأحوال والأقوال، ولو كان نطقها ذماً فهو حمد من حيث إنه هو الذي أنطقها، ومن قيد الخرس أطلقها"[٢٤].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[٢٥].

لما ذكر الله سبحانه وتعالى جملة من الآيات الدالة على ربوبيته لخلقه، وأنه الرب الملك المستحقّ للعبادة دون سواه، فهو يملكهم وما ملكوا، دعا الله عباده في هذه الآية لعبادته مبيناً لهم افتقارهم وحاجتهم إليه، ثم بيّن أن فقرهم ليس إلّا إلى الله، فقابل الفقراء بقوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ وقابل قوله:

٢١- سورة لقمان، الآية: 26.

٢٢- سورة الزمر، الآية: 7.

٢٣- انظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 18، ص 571، وأبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/ 1995م، ج15، ص195، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 21، ص 179.

٢٤- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج 15، ص 195.

٢٥- سورة فاطر، الآية: 15.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ بقوله: ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ لأنه إذا أنعم عليهم استحق الحمد منهم[٢٦].

قال الزمخشري: "فإن قلت: قد قوبل الفقراء بالغنى، فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم ـ وليس كل غنى نافعا بغناه إلا إذا كان الغن يُّ جواداً منعما، فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ـ ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه، الحميد على ألسنة مؤمنيهم"[٢٧].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٢٨].

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، الباخلين بما أوتوا في الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه، ويشحون به[٢٩]، وهم مع بخلهم به أيضًا ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾" وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يدبر معرضا عن عظة الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يُدْبِرْ معرضا عن عظة الله، تاركاً العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله، فَرِحاً بما أوتي من الدنيا مختالًا به فخوراً بخيلا، فإنَّ الله هو الغنيّ عن ماله ونفقته، وعن غيره من سائر خلقه، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه"[٣٠].

وفي التعقيب بصفة الغني بعد ذكر التولي إشارة إلى غنى الله عمن بخل بما أوجب الله عليه، كما

٢٦- انظر: محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407هـ، ص 884، والرازي، **التفسير الكبير**، ج 26، ص 13، النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، ج 5، ص 511، ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، ج 22، ص 285، وعبد الكريم يونس الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج 11، ص 866، وأبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج 4، ص 347.

٢٧- **الكشاف**، ص 884، وانظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج 26، ص 13.

٢٨- سورة الحديد، الآية: 24.

٢٩- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد تؤولت في البخل بالمال والمنع والبخل بالعلم ونحوه، وهي تعم البخل بكل ما ينفع في الدين والدنيا من علم ومال وغير ذلك ". ابن القاسم، **مجموع الفتاوى** ، ج 14، ص 212. وانظر: الماوردي، **النكت والعيون** ، ج 5، ص 482، والرازي، **مفاتيح الغيب** ، ج 29، ص 240، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 220.

٣٠- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج 22، ص 423.

في قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾[٣١]، وفي وصفه سبحانه وتعالى بالحميد بعد وصفه بالغني إشارة إلى استحقاقه للحمد وحده على السراء والضراء، وعلى الغنى والفقر.

الموضع الخامس: قوله تعالى:﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[٣٢].

هذه الآية تأكيد للآية السابقة في حث المؤمنين على التأسي بإبراهيم عليه السلام ومن آمن معه في براءتهم من المشركين، في قول رب العالمين: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾[٣٣]، وأن ذلك من مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ أي: ومن يعرض عن التأسي بهم، أو يتخذ أعداء الله أولياء، فإن الله غني عن امتثاله وعن ولايته، بل هو الغني عن جميع خلقه، الحميد لمن يمتثل أمره[٣٤].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين ﴿ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ فيه تضمين للوعيد، "أي: ومن يعرض عن الاقتداء بهم في التبري من الكفار ووالاهم، فإن الله هو الغن ي وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لأهل دينه، لم يتعبدهم لحاجته إليهم، بل هو وليّ دينه وناصر حزبه، وهو الحميد المستحق للحمد، فوبال إعراضه عليه وحده، فإن الله تعالى هو الغري عن جميع خلقه، الحميد لمن يمتثل أمره"[٣٥].

المطلب الثاني: مجيء اسم الغني مقترنا باسم الحميد مجردا من "ال"

جاء اسم الله الغني مقترنا بالحميد مجردا من "ال" في ثلاثة مواضع، وبيان هذه المواضع على النحو

٣١- سورة محمد، الآية: 38.

٣٢- سورة الممتحنة، الآية: 6.

٣٣- سورة الممتحنة، الآية: 4.

٣٤- انظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 22، ص 570، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج 17، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 28، ص 149.

٣٥- إسماعيل حقي ، **روح البيان** ، ج 9، ص 479. وانظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، ج 6، ص289.

الآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[٣٦].

لّما ذكر الله فضل ا لإنفاق في سبيله وحثّ عليه، وحذر من المنِّ بالنفقة والمراء اة فيها، حثّ عباده المؤمنين على الإنفاق ، مبيّناً ما ينفق منه بأنْ يكون من أجود أموالهم التي اكتسبوها حلالًا، فهو سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلّا طيبا، وأمرهم أن ينفقوا من الثمار والزروع والركاز والمعادن التي أخرجها لهم سبحانه من الأرض، ولا تيمموا الرديء الذي لا ترغبونه ولا تأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ فهو غني عنكم، ونفع صدقاتكم وأعمالكم عائد إليكم، ومع هذا فهو حميد على ما يأمركم به من الأوامر الحميدة والخصال السديدة، فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب وحياة النفوس ونعيم الأرواح[٣٧].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين تربية من الله لعباده باستشعار مراقبته على الدوام وأنه مطلع على ما في السرائر لا تخفى عليه منكم خافية، وأنه سبحانه هو الغني الذي أغناكم من فضله وجعل لكم ما تنفقونه على غيركم من جهة، وغني عن طاعتكم من جهة أخرى، وهو سبحانه الحميد، أي: الذي يستحق أن يحمد، ولا يحمد سواه، لأنه المعطي الوهاب، فهو الذي وهب الغني غناه، واختبر الفقير بفقره، فالاعتراف بالنعمة للمنعم كان يوجب عليه أن يعطي خير ما في يده، ورجاء الثواب، ورجاء دوام هذه النعمة، كان يوجب عليه مضاعفة العطاء، لا تحري البخس منه[٣٨].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾[٣٩].

٣٦- سورة البقرة، الآية: 267.

٣٧- ابن جرير ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 4، ص 698، وابن القيم، **طريق الهجرتين**، ص 374، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج 1، ص 697، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن** ، ص 115و 957، وابن عثيمين، **تفسير الفاتحة والبقرة**، ج 3، ص 339.

٣٨- انظر: ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج 1، ص 699، وابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج 3، ص 58، **وزهرة التفاسير**، ج 2، ص 1005.

٣٩- سورة النساء، الآية: 131.

لمّا أخبر الله سبحانه وتعالى عن ملكه الواسع وأن له ما في السماوات والأرض ملكا وتدبيرا، ذكر ما يتعلق بالألوهية والعبادة ـ وهي: التقوى ـ فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بعبادته وحده لا شريك له وبطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: إن تتركوا تقوى الله تعالى، وتشركوا به، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شيئًا، ولا تنقصون شيئًا من ملكه، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[41]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ أي: وهو الغني الذي له الجود الكامل، والإحسان الشامل، الصادر من خزائن رحمته، التي لا ينقصها الإنفاق ، فلا حاجة به إلى شيء ولا لأحد، ومن تمام غناه كمال أوصافه سبحانه، وهو المحمود على غناه وجميع صفاته، وعلى جميع ما يقدره ويشرعه، قد استحق منكم ـ أيها الخلق ـ الحمد على صنائعه الحميدة إليكم، وآلائه الجميلة التي أنعم بها عليكم، وهو الحامد لمن يستحق الحمد من عباده[42].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين بعد ذكر الكفر إشعار من الله لعباده بكمال غناه وأن طاعة المطيع لا تزيد في ملكه شيئًا، كما أن معصية العاصي لا تنقص منه شيئًا، وأنه المحمود من خلقه وإن لم يحمده من كفر به.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[43].

يخبر الله سبحانه وتعالى بأنه آتى عبده الصالح لقمان العقل والفهم والإصابة في القول، وأمره أن يشكره على ما آتاه ومنحه من الفضل الذي خصه به دون سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾، لأنه إنما يعود نفع ذلك وثوابه عليه، ومن كَفَر النعم وجَحَدَها ولم يشكرها فإنما يكفر على نفسه، لأن ضرر كفره عائد عليه، لأنه ـ تعالى ـ غني لا يحتاج إلى الشكر، ولا يتضرر بالكفر، حميد حقيق

٤٠- سورة الزمر، الآية: 7.

٤١- ابن جرير ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 7، ص 579، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 2، ص 431، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 207، وابن عثيمين، **تفسير سورة النساء**، ج 2، ص 308.

٤٢- سورة لقمان، الآية: 12.

بالحمد وإن لم يحمده أحد، أو محمود بالفعل، ينطق بحمده تعالى ـ جميع المخلوقات بلسان الحال[٣٢].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[٣٣].

يخبر الله سبحانه وتعالى بأن ما أحله من العذاب الأليم للأقوام السابقة بسبب أنه كانت تأتيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بالآيات الدالة على صدقهم، فما كان من هؤلاء الأقوام إلا أن أعرضوا عن دعوة الرسل، وقال كل قوم منهم لرسولهم على سبيل الإنكار والتكذيب والتعجب: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ أي: أيرشدنا ويدلنا بشر من جنسنا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٣٤]،﴿فَكَفَرُواْ ﴾ أي: فكفروا بسبب هذا القول الفاسد، ﴿وَتَوَلَّواْ ﴾ أي: وأعرضوا عن الحق إعراضاً تاما ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ﴾ أي: عنهم وعن إيمانهم، والسين والتاء للمبالغة في غناه سبحانه وتعالى عنهم، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ أي: والله غني عنهم وعن العالمين، ﴿حَمِيدٌ ﴾ أي: المستحق الحمد وحده، المحمود من جميع خلقه، لأنه هو الخالق الرازق المنعم، المتفضل، من غير سابقة إحسان من مخلوق، أو ابتغاء نفع يرجى منه[٣٥].

وفي هذه الآية أكد الله غناه عمن كفروا به وبرسله عليهم الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ لما كان منهم من الجمع بين الكفر والإعراض ، ولإظهار كمال غنى الله عن عباده في حال كفرهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ﴾[٣٧]،﴿حَمِيدٌ ﴾ أي: أنه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد مستحق له،

٤٣- ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 18، ص 545، والرازي، **التفسير الكبير**، ج 25، ص 146، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 6، ص 333، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 648.

٤٤- سورة التغابن، الآيات: 5-6.

٤٥- سورة الإسراء، الآية: 94.

٤٦- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج 8، ص 136، و ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج 28، ص 268، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 866، والخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج 14، ص 978.

٤٧- سورة إبراهيم، الآية: 8.

٤٨- سورة الزمر، الآية: 7.

وإن لم يحمده ـ جل شأنه ـ حامد، وفي الجمع بين هذين الاسمين من الترغيب والترهيب ما لا يخفى لمن تأملهما.

المبحث الثالث: اسم الغني ومناسبة اقترانه باسم الحليم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف باسم "الحليم" ودلالته.

الحليم في اللغة "اسم الفاعل من حَلُم فهو حليم"[٤٩].

والحِلْم بالكسر: الأناة والعقل، وحَلُم يَحلُم حِلمًا صار حليما، وتحلَّم تكلف الحلم، والحِلم نقيض السفه[٥٠].

ورد اسم الله سبحانه وتعالى "الحليم" في كتاب الله إحدى عشرة مرة.

قال ابن جرير الطبري : "وقوله: ﴿حَلِيمٌ﴾[٥١] يعني أنه ذو أناة لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم"[٥٢].

وقال ابن كثير: "حليم غفور، أن يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر"[٥٣].

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده ** بعقوبة ليتوب من عصيان[٥٤]

وقال في موضع آخر: "شهود حلم الله سبحانه وتعالى في إمهال راكب الخطيئة، ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل، فيحدث له ذلك معرفة ربه سبحانه باسمه الحليم، ومشاهدة صفة الحلم، والتعبد بهذا الاسم"[٥٥].

المطلب الثاني: مجيء اسم الغني مقترنا باسم الحليم مجردا من أَلْ

ورد اسم الله الغني مقترنا باسم الحليم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن

٤٩- الزجاجي، **اشتقاق الأسماء**، ص 96.

٥٠- انظر: الجوهري، **الصحاح**، ج 5، ص 1903، ابن منظور، **لسان العرب**، ج 2، ص 979، مادة "حلم".

٥١- سورة البقرة، الآية: 225.

٥٢- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج 4، ص 286.

٥٣- **تفسير القرآن العظيم**، ج 6، ص 557، وانظر: ابن سعدي، **تفسير أسماء الله الحسنى**، ص 189.

٥٤- **الكافية الشافية**، ص 207.

٥٥- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج 1، ص 223.

صَدَقَـةٍ يَـتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيـمٌ ﴾[٥٦].

بينت هذه الآية أن رد المسؤول على من يسأله الصدقة بالقول المعروف وهو القول الحسن، كأن يعتذر إليه بعدم استطاعته، أو يعده بالمعاونة في المستقبل، أو يدعو له بالتيسير والفرج، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وهي العفو عن السائل إذا وجد منه إلحاحاً في الطلب، أو ثقلاً في السؤال، أو وجد منه بعض الجفوة أو الغلظة بسبب رده، وعدم تلبية حاجته، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَـةٍ يَـتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ أي: خير له من الصدقة مع الإيذاء بسوء القول أو سوء المقابلة، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ أي: غني عن هذه الصدقات، فضلا عن التي فيها منٌّ أو أذى، و﴿حَلِيـمٌ ﴾ أي: لا يعاجل هذا المان بالعقوبة مع قدرته على ذلك، بل يعفو عنه ويصفح، أو يمهله ليتوب إليه[٥٧].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين تسلية للفقراء، وتعليق لقلوبهم بحبل الرجاء بالله الغني بأن يغنيهم من فضله، وحث للأغنياء بالصدقة فهو يخلفها عليهم ويضاعفها لهم، وهذا من كمال غناه سبحانه وتعالى، وتهديد للأغنياء وإنذار لهم بألا يغتروا بحلم الله وإمهاله إياهم، وعدم تعجيل العقوبة على كفرهم بنعمته تعالى، إِذْ مَنْ وهبهم المال فإنه يوشك أن يسلبه منهم[٥٨].

المبحث الرابع: اسم الغني ومناسبة اقترانه بالكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف باسم الكريم ودلالته.

قال ابن منظور: "الكريم: من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير، الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد، فالله عزّ وجل كريم حميد الفعال، ورب العرش الكريم العظيم"[٥٩].

٥٦- سورة البقرة، الآية: 263.

٥٧- ابن جرير ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 4، ص 657، وابن القيم، **طريق الهجرتين**، ص 367، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج 1، ص 693، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن** ، ص 113، **وتفسير المراغي**، ج 3، ص28، وابن عثيمين، **تفسير الفاتحة والبقرة**، ج 3، ص 316.

٥٨- انظر: **تفسير المراغي**، ج 3، ص 28، وابن عثيمين، **تفسير الفاتحة والبقرة**، ج 3، ص 316.

٥٩- **لسان العرب**، ج 5، ص 3861، مادة "كرم".

قال ابن جرير: "كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه"[٦٠].

قال ابن القيم: "الله سبحانه غني كريم، عزيز رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانا، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه قوة، ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾"[٦١].

وقال ابن سعدي: "ومن كمال غناه وكرمه أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم، وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه، وما لم يسألوه"[٦٢].

المطلب الثاني: مجيء اسم الغني مقترنا باسم الكريم.

ورد اسم الله الغني مقترنا باسم الكريم مرة واحدة في قول نبي الله سليمان عليه السلام عندما أَحْضِرَ له عرش ملكة سبأ: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[٦٣].

لما طلب نبي الله سليمان عليه السلام من الملأ الإتيان بعرش ملكة سبأ، وأ وتي بالعرش في طرفة عين ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ الذي تفضل به علي منةٍ منّه وفضلاً ﴿لِيَبْلُوَنِي ﴾ أي: ليختبرني أأشكر بأن أراه فضلا منه بلا قوة مني، أم أجحد فلا أشكر بل أنسب العمل إلى نفسي؟ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي: ومن شكر ففائدة الشكر إليه ، لأنه يجلب دوام النعمة، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي: ومن جحد ولم يشكر فإن الله غني عن العباد وعبادتهم، كريم بالإنعام عليهم وإن لم يعبدوه، كما قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ

٦٠- **جامع البيان**، ج 18، ص 75.

٦١- سورة الذاريات، الآيات: 56-58، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** ، تحقيق: محمد عزيز شمس ومصطفى بن سعيد، نشر عالم الفوائد، وطبعة: مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ج 1، ص 64.

٦٢- **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية**، ص 47.

٦٣- سورة النمل، الآية: 63.

صَٰلِحًا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا ﴾[٦٤]، وكما قال موسى عليه السلام: ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[٦٥].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين إظهار لكمال غناه وكرمه؛ حيث بين لعباده أنهم إن شكروا فإن نفع هذا الشكر عائد عليهم، وإن كفروا فإنه سبحانه وتعالى غني عنهم، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾، وأما كمال كرمه سبحانه وتعالى فإنه وعد عباده بالزيادة إنْ هم شكروه، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾[٦٦]، مع ما في الاسمين الكريمين من الترغيب والترهيب لمن تأملهما.

المبحث الخامس: اسم الغني ومناسبة اقترانه بالرحمة.

ورد اسم الغني مضافا إلى الرحمة في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴾[٦٧].

في هذه الآية بين الله أنه ﴿ٱلۡغَنِيُّ ﴾ أي: عن عباده، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه ، فلا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين، وهم الفقراء المحتاجون إليه في جميع أحوالهم، فلم يخلقهم ولم يأمرهم بما أمرهم به، وينههم عما نهاهم عنه لحاجة إليهم وإلى أعمالهم، ولكن ليتفضل عليهم برحمته، ويثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ ﴾[٦٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[٦٩]، ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ ﴾ أي: بإهلاككم وإفنائكم إذا خالفتم أمره، ويستخلف من بعدكم قوما آخرين، يعملون بطاعته، فهو قادر على ذلك سبحانه[٧٠].

٦٤- سورة فصلت، الآية: 46.

٦٥- سورة إبراهيم، الآية: 8، انظر: **تفسير القرآن العظيم**، ج 6، ص 193، و**تيسير الكريم الرحمن**، ص605.

٦٦- سورة إبراهيم، الآية: 7.

٦٧- سورة الأنعام، الآية: 133.

٦٨- سورة محمد، الآية: 38.

٦٩- سورة فاطر، الآية: 15.

٧٠- انظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 9، ص 564، وابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج 3، ص 342، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 274.

وما أحسن الاقتران بين الغنى والرحمة في هذا المقام، فإن رحمة الله بعباده مع غناه عنهم، هي غاية التفضل والتطول، إذْ لو شاء لاستأصل العصاة بالعذاب المفضي إلى الهلاك، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك فلم يهلكهم، ولم يستخلف غيرهم رحمة لهم، ولطفا بهم[٧١].

المبحث السادس: اسم الغني ومناسبة مجيئه مفردا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مجيء اسم الغني مفردا معرفا بأل

ورد اسم الله الغني مفردا معرفًا بـ"أل" في موضعين وبيانهما على النحو الآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[٧٢].

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن قول المشركين فيما نسبوه له تعالى من الولد وجعلهم الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وبين سبحانه وتعالى أنه ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: الله هو الغني عن الزوجة والولد، وعن جميع خلقه، له جميع ما في السموات وما في الأرض، خلقاً وملكاً وتصرفاً، فكيف يحتاج إلى شيء من خلقه، وكيف يتخذ منهم ولدا؟[٧٣].

قال ابن سعدي: "ومِنْ كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا شريكاً في الملك ولا ولياً من الذل، فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته"[٧٤].

وذِكْرُ الغني في هذا الموضع للدلالة على أن اتخاذ الولد لا يكون إلا عن حاجة ، ولذا نزَّه سبحانه وتعالى نفسه أولاً وأثبت لذاته العلية الغنى المطلق وفي ذلك أبلغ الدلالة لمن تأمل على كمال غناه.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[٧٥].

٧١- انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج 2، ص 187.

٧٢- سورة يونس، الآية: 68.

٧٣- انظر: ابن القيّم، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج 12، ص 228، وابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص 131، والقرطبي، **الجامع لأحكام**، ج 8، ص 361، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 4، ص 282، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 369.

٧٤- **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية**، ص 48.

٧٥- سورة محمد، الآية: 38.

في هذه الآية دعوة من الله لعباده للنفقة في سبيله ونصرة دينه، وأخبر أن منهم ﴿مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ أي: فمنكم من يبخل عن النفقة في هذا السبيل، ومن يبخل فإنما ضرر ذلك عائد إلى نفسه ، لأنه ينقصها أجرها من الثواب، ويبعدها من رضا الله والقرب منه في جنات النعيم، والله لا حاجة إليه في أموالكم ولا نفقاتكم، فهو الغني عن خلقه، وخلقه فقراء إليه، وإنما حضكم على النفقة في سبيله، لتنالوا بذلك الأجر والثواب[٧٦].

وفي التعقيب على موقف أولئك الذين بخلوا بالإنفاق في سبيل الله بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ إثبات لكمال غنى الله سبحانه وتعالى وأنه عزّ وجل هو الغني الحقيقي بالذات لا غيره، وأن الخلق هم الفقراء بالذات الكاملون في الفقر[٧٧].

المطلب الثاني: مجيء اسم الغني مفردا منونا.

ورد اسم الغني مفردا منوّناً في ثلاثة مواضع، وبيان هذه المواضع على النحو الآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٧٨].

في هذه الآية إعلام من الله لعباده بما افترضه عليهم من وجوب حج بيته الحرام على من استطاع من أهل التكليف على الوصول إليه، وذلك بتوفر القدرة المالية والبدنية مما يحقق الاستطاعة، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: من جحد فرض الحج، أو أنكر وجوبه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: فإن الله غني عنه، وعن حجه، وعن سائر خلقه[٧٩].

وفي التعقيب بأنّ الله ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ترغيب بأداء هذا النسك وأنه حري بما يبذله من النفقة في الحج أن يغنيه الله من فضله، وترهيب لمن لم يمتثل بأن وَبَال كفره أو جحوده ما افترض الله عليه عائد

٧٦- انظر: ابن جرير ، **جامع البيان**، ج 21، ص 231، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 324، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 790.

٧٧- انظر: **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ج 1، ص 66.

٧٨- سورة آل عمران، الآية: 97.

٧٩- انظر: ابن جرير، **جامع البيان**، ج 5، ص 609، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن** ، ص 138، وابن عثيمين، **تفسير سورة آل عمران**، ج 1، ص 551.

عليه وأنه لا يضر الله شيئًا وإنما يضر نفسه.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٨٠].

بين الله تعالى في هذه الآية أنّ من جاهد أعداء الله من المشركين فإنما يجاهد لنفسه ، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهروب من العقاب، وقد يكون الجهاد على مخالفة النفس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: عن أعمالهم وعبادتهم، وفيه بشارة وتخويف، أما البشارة : فلأنه إذا كان غنيا عن الأشياء، فلو أعطى جميع ما خلقه لعبد من عبيده لا شيء عليه لاستغنائه عنه، وهذا يوجب الرجاء التام، وأما التخويف: فلأن الله إذا كان غنياً عن العالمين، فلو أهلكهم بعذابه فلا شيء عليه لاستغنائه عنهم"[٨١].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾[٨٢].

في هذه الآية إعلام من الله لعباده عن كمال غناه عن العالمين، كما أخبر في كتابه المبين بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٨٣]، فهو سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي، ومع كونه سبحانه وتعالى غنيا عن إيمان عباده، وغير محتاج إليه ولا إليهم، فإنه لا ﴿يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوةً لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خُلِقَ لها الخَلْق، فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم لأجله، ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ أي: نعمه عليكم بالإيمان والعمل الصالح ﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ أي: يرضاه ويحبه لكم لحسن عاقبته[٨٤].

٨٠- سورة العنكبوت، الآية: 6.

٨١- انظر: ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 18، ص 360، والبغوي، **معالم التنزيل**، ج 5، ص 262، والخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج 3، ص 376.

٨٢- سورة الزمر، الآية: 7.

٨٣- سورة إبراهيم، الآية: 8.

٨٤- ابن جرير، **جامع البيان**، ج 20، ص 168، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 4، ص 480، وابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 719.

الخاتمة

أحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على ما يسر لي من كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يأتي:

1- أنّ نسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ يتنافى مع وصف الغني، إذ اتخاذ الولد لا يكون إلا عن حاجة، والله منزّه عن ذلك.

2- يتجلى غنى الله المطلق مع اقترانه باسم الحميد، ولذلك جاء أكثر أسماء الله اقترانا به.

3- أنّ اقتران الغني بالحميد فيه ترغيب بالامتثال وترهيب من الإعراض.

4- أنّ الله تعالى مع غناه المطلق واقترانه بالحليم، فإنه حليم بعباده العاصين، ويغفر ويصفح عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة.

5- أنّ الله تعالى مع غناه المطلق واقترانه بالكريم، فإنّه يعطي بلا سؤال، ويستحق الشكر والثناء والحمد، فهو سبحانه وتعالى دائم الإحسان واسع الكرم.

6- أنّ الله مع غناه المطلق واقترانه بالرحمة، فإنّ رحمته بعباده مع غناه عنهم، هي غاية التفضل والتطول، إذْ لو شاء لاستأصل العصاة بالعذاب، ولكن رحمته تسبق غضبه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***